

1- تعريف الجغرافيا البشرية و تطورها

1- تعريف الجغرافيا البشرية

الجغرافيا البشرية، هي إحدى فروع الجغرافيا الذي يركز على دراسة الأنماط والعمليات التي تشكل التفاعل البشري مع البيئات المختلفة. و تهتم الجغرافيا الطبيعية بدراسة مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان من تضاريس و مناخ و غطاء نباتي و كذلك المسطحات المائية البحرية و المحيطية ، اما الجغرافيا البشرية – أو الحضارية – فتتناول دراسة توزيع المجتمعات البشرية و مدى التأثير المتبادل بينها و بين بيئاتها الطبيعية و الصور الاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية ، مثل توزيع السكان و أنماط العمران حضريا كان أم ريفيا ، كما تشمل دراسة النشاط البشري و مؤثراته و توزيعاته و كذلك التركيب السياسي للدول كظواهرات جغرافية تمثل رقعا من سطح الأرض لها حدود الاصطناعية و إمكانياتها الاقتصادية و البشرية و ما يترتب على ذلك من مشكلات يوجهها و يؤثر فيها بالضرورة الظروف الجغرافية السائدة على المستويين الإقليمي و العالمي.

و على ذلك فان طبيعة الجغرافيا البشرية تتحدد بدراستها ملامح التفاعل و أوجه التباين و التشابه بين الأقاليم المختلفة في البيئات بعناصرها الطبيعية ، مثل أشكال سطح و التربة و المناخ و الحياتين النباتية و الحيوانية و موارد الثروة المعدنية كأساس و قاعدة لفهم العناصر الحضارية cultural or man-made- المترتبة عليه و المترابطة معه داخل إطار بيئي محدد. و هي في ذلك تؤكد مبدأ الارتباط correlation الذي يثمر في فهم العلاقات التأثيرية و التأثيرية-cause-effect Relationship بين الإنسان و بيئته.

2- تطور علم الجغرافيا البشرية

أ- بدايات علم الجغرافيا:

نشأت الجغرافيا منذ القديم مع نشأة الإنسان نفسه ، حيث كان الإنسان يقوم بكشف مناطق بيئته و ارتياد ما حوله عساه إن يعرف كنه هذه البيئة و مسالكها، و ما هي الإمكانيات الاقتصادية التي يمكن إن يستفيد منها محققا بذلك غريزته الطبيعية في حب الاستطلاع و المعرفة.

و لم يكن الإنسان يعيش بفكره مع المكان في حد ذاته فحسب ، بل كان يعيش فيه أحداثه التي تأتي من مصادر معلومة أو مجهولة كالمطر و البرق و الرعد ، و لم يكن من الضروري أن يفسر الظواهرات على أساس عقلائي ، بل يكفي أن يقوم هذا التفسير على أساس ذهني يتناسب مع مستواه الفكري.

و قد بدأ علم الجغرافيا عندما بدأت المشاهدة و الملاحظة كوصف الأرض و الكون و لمظاهرهما لهذا فان أقدم المدونات عن اهتمام الإنسان بالعالم الطبيعي تشمل تأملات و ملاحظات جغرافية . و لم يقف طموح الإنسان الفكري و رغبته في المعرفة عن حد التعرف على مواقع و أشكال

الظواهرات المكانية بل تتعدى ذلك إلى محاولة تفسير النشأة (الشكل) ، ثم تطور الأمر إلى محاولة تفسير كيفية التوزيع . و اختلفت درجة دقة التفسير حسب مستوى الفكري الذي بلغه الإنسان من الخرافي إلى العلمي.

و قد ظل ميدان الجغرافيا طوال تاريخها وحتى القرن السابع عشر يقتصر على النواحي الطبيعية فقط دون التعرض للجوانب البشرية إلى أن ظهرت كتابات " فيرانوس " في القرن السابع عشر التي أعطت الفرصة لظهور اهتمام الجغرافي بالإنسان ، و من ثم ظهور إرهابات الجغرافية البشرية ، و عندما قال " كارل ريتير " في القرن السابع عشر " أن مفهوم الجغرافيا بمعنى وصف الأرض مفهوم خاطئ و مضلل " ، أكد أن الجغرافيا كما يراها هو " هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الأرض ككل موحد من حيث كافة المظاهر و الظواهر مع إظهار العلاقات التي جعلت من ذلك الكل وحدة متميزة بذاتها ثم إبراز العلاقة بين هذا الكل الموحد و الإنسان ". فإنه بهذا قد وضع قاعدة أساسية للدراسة الجغرافية. و في وقته حسم الجدل الذي كان هل الجغرافيا تدرس كوكب الأرض من كافة النواحي أم تقتصر على سطح الأرض وحده. فكان الحسم لسطح الأرض فقط.

و قد بدأ ظهور الجغرافيا كعلم له أصوله و قواعده منذ القرن الثامن عشر و ازدهر و تطور خلال القرن التاسع عشر عبر كتابات العديد من الفلاسفة و العلماء مثل ايمانويل كانت (1724-1804) و الكسندر فون همبولت (1769-1859) ، و كارل ريترو اوسكار باشل (1826-1875) و فردريك راتزل (1844-1904) ، فهم الذين حصروا ميدان دراسة العلم و حددوا محتواه و مضمونه و كيفية جمع مادته العلمية وتنظيمها.

ب- الجغرافيا الحديثة :

لقد اتسع نطاق المعرفة الجغرافية في العصور الحديثة نتيجة عوامل ثلاثة :

- اتساع نطاق الكشوف الجغرافية منذ بداية القرن السادس عشر و زيادة آفاق المفكرين و الرحالة الذين تمكنوا من كشف أقاليم جديدة تتباين في ظروفها الجغرافية الطبيعية و البشرية ، و نتج عن ذلك تقدم في فن رسم الخرائط و إدخال الفكرة العالمية في الجغرافيا. و المعلومات التي كانت تأتي من كل مكان ساعدت على وضع قوانين الجغرافيا الطبيعية و تقنين حقائق الجغرافيا البشرية .

- إتباع منهج التفكير العلمي السليم الذي رسم طرقه كل من ديكرت و كانت ، و إدخال مبدأ السببية *resoning* في علم الجغرافيا ، فانقلبت الجغرافيا من مجرد جداول لأسماء البقاع و الأمكنة إلى علم يبحث عن الأسباب و الحلول و يربط بين الظواهرات الطبيعية في البيئة الواحدة ، كما فعل كل من كارل ريتير و الكسندر فان همبولت.

- تطور الدراسات الجغرافية بحيث تركز على دراسة التفاعل بين البيئة الحية عامة و بينها و بين الإنسان خاصة .

و لقد تميزت الجغرافيا الحديثة بثنائية واضحة جعلتها تنقسم الى قسمين كبيرين الجغرافيا الطبيعية و الجغرافيا البشرية و الارتباط بينهما وثيق ، و يطلق عليهما معا اسم الجغرافيا الأصولية أو

العامة و يقابلها الجغرافيا الإقليمية أو الخاصة ، وهما منهجان وضع أسسهما بيرنادر فيرانوس(1622).

و قد تأثرت الجغرافيا الحديثة في تطورها بفلسفتين مختلفتين من حيث العلاقة بين الإنسان و البيئة :

أولاً: المدرسة الحتم البيئي :

و قد ارسى قواعدها فرديرك راتزل في أواخر القرن التاسع عشر حينما نشر كتابه في الجغرافيا البشرية بعنوان " Antropogeography " عام 1882. و يرى راتزل أن للبيئة أثرا كبيرا في حياة الإنسان ، فهو يخضع لسلطانها و تتحدد نظم حياته الاجتماعية و الاقتصادية وفق ما تمليه عليه ظروفها . و كان من أنصار هذه المدرسة خارج ألمانيا كل من ديمولان في فرنسا ، الذي يرى أن البيئة هي التي تشكل المجتمع و أن اختلاف البيئات كان السبب في اختلاف الأنماط الاجتماعية التي ينقسم إليها سكان العالم ، و الين سمبل في أمريكا و هي من اشد المتحمسين لهذه المدرسة ، حيث عبرت عن رأيها في علاقة الإنسان بالبيئة في كتابها بان الإنسان نتاج الأرض ، و هذا لا يعنى فقط انه ابن الأرض تربي من ترابها ، بل أن الأرض ربتة و أطعمته و واجهته بالمشاكل ، و وجهت أنظاره جابته بالصعاب التي قوت جسمه و شحذت تفكيره و أعطته مشاكل الملاحة و مشاكل الري و في نفس الوقت همست له بحلولها ، أنها تخللت عظامه و روحه و عقله.

ثانيا : المدرسة الإمكانية:

و قد وضع أسس هذه المدرسة في فرنسا فيدال دي لابلاس الذي يرى أن الإنسان لا يقف سلبيا خاضعا لمؤثرات البيئة و ظروفها ، و إنما هو الذي يغير معالم سطح الأرض و يلائم بين البيئة و نفسه يخضعها لرغبته و يسخرها لمصلحته ، و لا تنكر هذه المدرسة أثر الظروف الطبيعية في الإنسان و لكنها ترفض أن تكون العلاقة بين الإنسان و البيئة علاقة حتمية . و من اشد المتحمسين لهذه المدرسة لوسيان فافر الذي يرى في مؤلفه "الأرض و التطور البشري " أن الإنسان هو الذي يقوم بالدور الأكبر في العلاقات بينه و بين البيئة و هو الذي يستخدم الأرض و يستغلها بدافع من منفعة هو. و من أنصار هذه المدرسة روكسبي و فلير في بريطانيا و و بومان و كارل ساورو في امريكا .

و يعزى الفضل في تطور علم الجغرافيا في القرن التاسع عشر إلى الجغرافيين الألمان و على رأسهم همبولت و ريتز اللذان وضعوا أسس الجغرافيا الحديثة . و من ثم يكون لعلم الجغرافيا نشأتان : أحدهما قديمة يونانية و الثانية حديثة ألمانية لتكون بذلك علما أوروبي النشأة و أن كان عالمي الاهتمام .